المحاضرة الخامسة

مقرر: الفكر والدين في مصر القديمة- الفرقة الثالثة – شعبة الآثار المصرية – قسم الآثار

عنوان المحاضرة: "ضمانات البعث عند المصري القديم"

أولاً: التحنيط

معنى الكلمة :

حُنِطَ الميت أي عولجت جثته وحشيت بالحنوط كي لا يُدركها الفساد. والحناط الحنوط كل طيب يمنع الفساد. ولفظ Embalm يعني (حنط) من أصل لاتيني Balasmum ، أي حفظ في البلسم. وهناك من يرى أن embalm تعني في اللاتينية التعطير بوضع راتنجات عطرية. أما كلمة تحنيط mummification فهي مُستمدة من الكلمة اللاتينية موميا mumia التي ربما تعني القار الأسود.

وهناك من أرجع هذه الكلمة إلى المادة القارية السوداء التي تخرج من جبل المامي Mummy Mountain الموجود في فارس، ولها خواص طبية. ويرى لوكاس كذلك أن هذا اللفظ قد يكون فارسياً بمعنى القار وأنه أطلق في العصور المُتأخرة على الجثث المصرية المُحنطة لقرب لونها من القار ، وهو يرى أنها تسمية خاطئة لأنه لم يُعثر على قار إلا في موميا واحدة من العصر الفارسي. كما ذكر دوسن أن القطران أو القار لم يُستعمل في التحنيط إلا في العصر اليوناني الروماني. وهناك من يرى أن كلمة موميا يونانية معناها حافظ الأجسام. وعلى أي حال فتُطلق كلمة موميا اليوم على ما حُنط من الأجسام.

الهدف من التحنيط :

كان من الأهداف الرئيسية للتحنيط حفظ الجسد ، وخاصة الملامح الخارجية ، من الدمار. فلم يعتبر المصري القديم الموت هو النهاية ، وإنما هو رحلة خطرة تتناثر خلالها شتى العناصر المكونة للشخص الحي ، بينما يحتفظ كل منها بتكامله الفردي. فإذا أمكن إعادة اتحادها ووضعها في الجسم ثانية ، أمكنه أن يحيا حياة جديدة مُشابهة جداً للحياة التي قضاها على الأرض. ومع ذلك ، فلتحقيق هذه النتيجة، يجب حفظ الجسم الذي هو أضعف كل هذه العناصر وأكثرها عطباً. فإذا تُرك الجسم ليتعفن ، ضاع كل أمل في اتحاد القوى الحيوية وهيكلها الجسدي ، في العالم الآخر ، فيُحكم على الروح بأن تظل تبحث عبثاً إلى الأبد عن جسم لم يعد له وجود.

رواية هيرودوت عن التحنيط :

لعل أقدم ما كُتِبَ عن التحنيط هو ما ذكره هيرودوت في كتابه عن مصر فقد قل : " اختص بالتحنيط رجال كانوا يقدمون لأهل الموتى نماذج خشبية صغيرة تمثل طرائق التحنيط التي تختلف دقة. يبدأ المُحنطون باستخراج المُخ بقضبان حديدية معقوفة عن طريق الأنف ثم يحقنون سائلاً ليستخرجوا ما تبقى منه. بعد ذلك يفتحون البطن بسكين حادة ويُخرجون الأحشاء وينظفونها ويضعونها في نبيذ البلح ثم يعطرونها بالمر والآنيسون والعطور ما عدا الكندر. ثم يخيطون الفتحة ويضعون الجثة في النطرون مدة سبعين يوماً. وفي نهاية المُدة يغسلونها ثم يلفونها باللفائف الكتانية المغمورة في الصمغ ويسلمونها إلى أهلها...

أما الطريقة الثانية فدون الأولى قيمة واتقاناً. كانوا يبدءونها بقذف زيت القادروس (الشربيني) في البطن عن طريق الشرج ، ويُخيطون فتحة الشرج بعد ذلك. ثم يضعون الجثة في النطرون المدة المُقررة وهي سبعون يوماً. فإذا ما انقضت المُدة فتحوا الشرج فيخرج السائل

مندفعاً نحو الخارج حاملاً معه الأحشاء شبه مُذابة. ولم يتبق من الجثة إلا هيكلها العظمي المكسو بالجلد. وتُسلم الجثة بهذه الحالة إلى أهلها.

أما الطريقة الثالثة فتتلخص في غسل البطن بزيت الفجل ثم وضع الجثة في النطرون لمدة سبعين يوماً تُسلم بعده لذويها.

والحقيقة إن ما ذكره هيرودوت من أمر حقن السائل في الشرج لإذابة الأحشاء صعب تصديقه ، وقد يكون القصد إيقاف العفن لحين التجفيف بالنطرون. على كل حال فهناك دلائل على استخراج الأحشاء بطريق الشرج أو بطريق المهبل.

أما بخصوص السبعين يوماً التي ذكرها هيرودوت ، فالحقيقة إن هذه المدة كانت تشمل جميع مراحل التحنيط. وليس مُدة الغمر في الملح ، حيث إنه وجد بالتجارب أنه بعد 40 يوماً يكون تحلل الجسد المغمور في ملح النطرون ضئيلاً ، في حين أن مدة الـ 70 يوماً التي ذكرها هيرودوت تشمل غسيلاً ودهاناً بالزيت ولف الأربطة – أي عملية التحنيط كلها – وقد ذكر في العهد القديم (سفر التكوين 50 : 3) في سياق الحديث عن تحنيط يعقوب أن مدة وضع الجسد في ملح النطرون كانت أربعون يوماً ، فقد ورد به : " وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين".

وكانت المدة بين يوم الوفاة ويوم الدفن. ولماذا حددت هذه المدة بسبعين يوماً ؟ ربما كان ذلك لأسباب دينية مبنية على علم الفلك والنجوم لديهم. فقد لوحظ أنه بظهور نجم الشِعرى اليمانية (Sothis) Sirius ، تبدأ السنة الجديدة للمصريين ، وعندما يختفي لا يمكن رؤيته في الأفق مرة أخرى ليظهر من جديد بعد سبعين يوماً. فكانت فترة السبعين يوماً هذه تفصل بين موتهم وبعثهم. وربما حاكى المصريون دورة الزمن هذه ليستخدموها مع موتاهم فيضمنوا بعثهم.

كيفية التحنيط : هناك سؤال سرعان ما يُبادرنا عند مُناقشة هذا الموضوع ، هو : ماذا عرف أجدادنا من وسائل منع العفن مكنتهم من تحنيط جثث موتاهم بدقة أذهلت العالم ؟ خصوصاً إذا لاحظنا أن جسم الإنسان يحوي من الماء 75 % من وزنه وأن إخراج هذه الكمية من الجسم ليس بالسهل. وللإجابة على هذا السؤال يُمكن سرد خطوات أجود أنواع التحنيط فيما يلي :

1-نقل الجثمان إلى مكان التحنيط : تنقل الجثة إلى معمل التحنيط ، وتنزع ملابسها وتوضع على مائدة. ولقد أطلق المصريون على حجرة التحنيط مجوعة مسميات منها: بر-نفر = "المنزل الجميل" ، "وعبت" = "منزل الطهارة" ، و سح-نتر = "مُخيم المعبود" مما يُضفي على المكان صفة التقديس. والأسماء تشير من طرف خفي إلى ما قام به إنبو من تحنيط جثة أوزير وإلى رغبة كل متوفى في أن يكون في زمرة أتباع أوزير. أو أن ينعم بمصير كمصير أوزير وهو عودة الحياة له مرة أخرى كما عادت لأوزير.

2-استخراج المُخ : يُستخرج المُخ عادة عن طريق الأنف وأحياناً عن طريق الثقب الأعظم foramen magnum بعد استخراج إحدى الفقرات العنقية ، وبعد إزالة المُخ من الثقب الأعظم تُعاد الفقرة مكانها. أما إذا اسُتخرج عن طريق الأنف هُشمت العظمة المصفاوية Ethmoid Bone وفي الحالتين كان المُخ يهتك لضخامة حجمه وضآلة فتحة إخراجه. والعملية ضرورية لأن المخ من أوائل الأنسجة التي تتعفن بعد الوفاة. وكان يُستعان على إخراج المُخ بقضبان معقوفة. من النحاس أو البرونز. وليس هناك دليل على مُعالجة المُخ والاحتفاظ به بخلاف الأحشاء ، فلم يُعرف إلى الآن مآل المُخ بعد إخراجه مفتتاً.

3-استخراج الأحشاء: كان لاستخراج الأحشاء سببان ، السبب الأول فني لأن فضلات الطعام التي كانت بها وكذلك بعض الأنسجة الدهنية فيما بينها قابلة للتعفن بسرعة فيما عدا القلب

والكليتين إذ أن أنسجتهما عضلية قوية ، والسبب الثاني ديني كما جاء في إحدى البرديات من القرن الثالث الميلادي التي تقول: " ... *إذا كنت قد ارتكبت خطيئة في أكل أو شرب ما هو محرم فإن الذنب لم يكن ذنبي بل هو ذنب هذه الأحشاء*". ويشير إلى الصندوق الذي به الأحشاء المُستخرجة. وقد كانت الأحشاء الباطنية تُستخرج عن طريق شق البطن. ويعمل هذا الشق عادة في الخاصرة اليُسرى. يبدأ باستخراج الأمعاء ثم الكبد والطحال ، أما الكليتان فتُتركان عادة في مكانهما ، وإن لم يكن دائماً. ثم يشق الحجاب الحاجز لاستخراج الرئتين. أما القلب وأوعيته الكبيرة فتركت مكانها. فلم يحصل أن قطع القلب ووضع مع الأحشاء في الأواني المُخصصة لها.

إلا أن إليوت سميث ذكر أنه لدينا حالات فصل فيها القلب عن الجثة ابتداء من زمن الأسرة الرابعة. ووضع مكانه قلب حجري ، وأحياناً ما كان يوضع مكانه جعران منقوش عليه تعويذة. فقد كان للقلب أهمية عقائدية تقضي بتركه في الجسم إذ اعتقدوا أن القلب كان يوزن في عملية الحساب فإذا ثقل كان صاحبه قد اقترف ذنوباً كثيرة وحق عليه العقاب ، وإذا تساوى مع علامة العدل في الميزان كان صاحبه شخصاً باراً لم يقترف ذنوباً كثيرة ؛ ولذلك يحق له أن يدخل دار النعيم مع أوزير رب العالم الآخر ، ولذلك كانوا يضعون بجوار القلب في بعض الحيان جعراناً (عليه نص) يُسمى جعران القلب عليه النص الآتي: "*يا قلبي الذي أخذته عن أبي يا قلبي الذي أخذته عن أمي يا قلبي المسئول عن وجودي ، لا تقف ضدي عند مُحاكمتي ، لا تشهد ضدي عند مُحاكمتي ، لا تعارضني أمام المُتحاكمين ، لا تهبط لأجلي أمام مراقب الميزان ... لا تعمل على تشويه سمعتي عند الآلهة ... ولا تتكلم بالكذب ضدي ...*".

4-تعقيم فراغي الجسم والأحشاء : يُغسل تجويفا البطن والصدر بنبيذ البلح والتوابل. وبذلك يتم تعقيمهما ، فقد كان نبيذ النخيل يحتوي على كحول بنسبة 14 % تقريباً ، ومما يذكر أن الكحول لا يزال من أهم المواد المُعقمة المُستخدمة في الأغراض الطبية حالياً.

6-تحنيط الأحشاء : كانت الأحشاء تُفرغ من فضلات الطعام وتُغسل جيداً بالماء ، ثم تُعقم بغسيلها هي الأخرى بنبيذ النخيل. ثم تُحنَّط بوضع كل جزء منها في ملح نطرون جاف على سرير صغير مائل إلى أن يُستخلص كل الماء الذي بها وتجف تماماً ، ثم تُعالج الأحشاء بعد ذلك بالزيوت العطرية والراتنج المنصهر. وتُقسم الأحشاء أربعة أقسام لتوضع داخل أربعة أوان لكل منها غطاء يمثل أحد أبناء حور الأربعة. وفي زمن الأسرة 21 لفت الأحشاء ووضعت بتجويف الجثة التي كانت فيه في الحياة مصحوبة بتماثيل شمعية لأبناء حور الأربعة.

7-حشو فراغي الجسم (البطني والصدري) بمواد حشو مؤقتة: كان الفراغان البطني والصدري يحشوان بمواد حشو مؤقتة تتألف من ثلاثة أنواع من اللفافات: لفافات بها نطرون لاستخلاص ماء الجسم من الداخل. ولفافات من قماش الكتان لامتصاص الماء المُستخرج ، ولفافات من قماش الكتان تحتوي على مواد عطرية لإكساب الجسم رائحة طيبة في أثناء عملية التحنيط الرئيسية.

8-استخلاص ماء الجسم وتجفيفه : الفكرة الرئيسية من التحنيط هو تجفيف الجثة لمنع الميكروبات اللاهوائية من النمو على أنسجتها. لذلك وضعت الجثة بعد استخراج أحشائها وغسلها داخل كوم من النطرون الجاف على مائدة مائلة السطح ذات مجرى صغير ينتهي بخزان تتجمع فيه المياه الخارجة من الجثة نتيجة لعملية الانتضاح. وكانت هذه العملية تستغرف أربعين يوماً كما سبق أن ذكرنا.

9-استخراج الجثة من ملح النطرون واستخراج مواد الحشو المؤقت منها: تُستخرج الجثة بعد ذلك من النطرون وتُغسل بالماء وتُجفف بالمنشفات وقد تُغسل بسائل آخر مثل نبيذ البلح.

وتُستخرج من فراغي الجسم مواد الحشو المؤقت إذ كانت قد تبللت بالماء المُستخرج من داخل الجسم ، ولو تُركت به لأدت إلى تعفن أنسجة الجسم.

10-حشو فراغات الجسم بمواد حشو دائمة : يُحشى تجويف الجمجمة بالراتنج أو الكتان المُشبع بالراتينج. أما فراغا الصدر والبطن فيبد أنهما كانا يُغسلان مرة أخرى بنبيذ النخيل ثم يُملآن بمواد حشو جافة الآنيسون والمر والكاشية/القشية (خيار شنبر) ومواد عطرية أخرى كالقرفة ، وقد تُملأ كذلك بالكتان أو بالكتان المغمور في الراتينج وبالنشارة المُشبعة بالراتينج أو بالتراب والنطرون. وقد يُضاف إلى ذلك بصلة أو بصلتان. وفي زمن الأسرة 21 ملئ تجويفا الجثة بأربع لفائف تحوي الأحشاء مع بعض المواد المذكورة أو كلها. وقد تُحشى الجثة بأكياس مليئة بالنطرون. ثم تُقرب شفتا الجرح ، ويُغطى الجُرح بلوح معدني أو شمع العسل ، ويُثبت اللوح بصب الراتنج المصهور عليه. وفي الحقيقة إن هذه اللوحة لم تكن في حاجة إلى تثبيت لأن الطبقة الراتينجية التي كسيت بها الجثة كانت كافية لحفظها في مكانها. وهناك مومياوات خيط شق بطنها فلم تكن ثمة حاجة إلى الطبقة الشمعية.

11-دهان الجسم مواد عطرية : بعد ذلك تُدهن الجثة بزيت القادروس وأدهنة أخرى ثم تُدهن بالمر والآنيسون ومواد مماثلة. فكان يُدلك كل سطحه بمسحوق المر والقرفة لأغكسابه رائحة عطرة. أما زيت القادروس Cedar Oil المذكور هنا فقد ذكره كل من هيرودوت وديودور خلال حديثهما عن عملية التحنيط ، وهو غير معروف حالياً. ولا يبعد أن يكون ما قصداه هو زيت تربنتينة أو حامض خل الخشب الحاوي لزيت التربنتينة أو قار الخشب.

12-حشو فتحات الجسم : يُحشى الفم بالكتان المغمور في الراتينج ، وتُعالج الأذن والأنف أحياناً بالطريقة نفسها. ولا تُستخرج العينان بل يُضغط عليهما في تجويفهما ، ثم يُحشى التجويفان بالكتان المغمور في الراتينج ، وتجذب الجفنان على الحشو. وفي زمن الأسرة 21 استعملت العيون الصناعية ، وحشيت العضلات بالراتينج وبالكتان مع الراتينج للمحافظة على الشكل الظاهري.
أما القطران فاستعمل بعد ذلك وحده أو ممزوجاً مع الراتينج. ويؤثر التحنيط على الجلد فيفصل بشرته. فاحتاط القوم ضد سقوط الأظافر فثبتوها بخيط أو سلك رفيع حول كل ظفر. ولبست أصابع الملوك بما يُشبه الكستبان الذهبي. أما فيما يختص بالنساء فأحياناً ما يُستخدم الكتان لعمل ثدي صناعي يوضع على الصدر ليمثل شكل الجسم الطبيعي.

13-علاج سطح الجسم براتنج منصهر : تُعالج الجثة كلها بالراتينج المصهور لاكساب الجثة صلابة ولسد مسامها فيمتنع بذلك دخول رطوبة الهواء فيها. وذلك باستخدام فرشة عريضة ، وبذلك لا تتمكن بكتريا التعفن من العيش على أنسجته ، كما أن الراتنج أيضاً يُقوي بشرة الجسم ويجعلها أكثر تماسكاً.

14-تلوين الجسد ووضع الحلي والتمائم ولف الجسد باللفائف : تُكسى الجثة بالألوان فوق طبقة الراتينج ، فكان وجه الرجل يُدهن بالمُغرة الحمراء red ochre والنساء بالمُغرة الصفراء yellow ochre. وقد استخدمت الحناء في خضاب بعض المومياوات (الأصابع والأظافر والشعر). ثم تُغلف باللفائف بإتقان بحيث تلتصق اللفائف ببعضها وبالجثة بواسطة الصمغ أو الراتينج. وكان يُلف كل جزء من الجسم على حدة ، ثم يُلف الجسم كتلة واحدة بحيث تكون الذراعان محاذيتين للجذع أو متصالبتين أمام الصدر. وتوضع التمائم بين اللفات ، مصنوعة من الأحجار أنصاف الكريمة لتأكيد المُحافظة على الميت وحمايته ، في مواضع معينة ، وتشمل هذه التمائم عيوناً حجرية (على الجفون) ، وعين وچات (على شق البطن) وأعمدة الچد ، ولوحات صدرية ، وأحزمة إيزيس ، وغير ذلك.

كما حرص المصريون على تزيين الجسم بكثير من الحلي ، فقد وجد على مومياء توت عنخ أمون 143 قطعة من الحلي المُختلفة من الخواتم والأقراط والعقود والأساور والصدريات ، كما وضعوا في بعض الأحيان حول الوسط حزاماً من الخرز في وسطه دلاية على شكل صقر جاثم من العقيق الأحمر بحيث يقع فوق شق التحنيط كتميمة لحماية الشق.

تحلل ودمار بعض المومياوات :

لوحظ تعرض عدد من المومياوات في الدولة الوسطى والعصر المُتأخر للتحلل لعدة أسباب منها:

(1) لم يُسلَّم الجسد للمحنطين إلا بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الوفاة عندما بدأ التحلل ؛ لمنع اغتصاب الموتى كما يعتقد هيرودوت : " النساء الجميلات ذوات السمعة الطيبة لم يكُنَّ يُعطين للمحنط إلا بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الوفاة". ولكن ذلك لوحظ كذلك مع الرجال والنساء.

(2) ربما تدني مستوى الحرفة أدى للتأخير ، وذلك لكثرة العمل. وأحياناً تحدث كسور بالمومياوات ، فبعض الأطراف مفقودة والرأس منفصل ، وربما يكون الجسد قد سقط أثناء إجراءات التحنيط الطويلة. وهناك من يعتقد أنها بسبب نزع اللصوص الجواهر ثم أعيد لفها بمعرفة أقرباء ورعين ن حتى يمكنه أن يقابل الإله في حالة طبيعية ، كذلك وضعت بعض العظان في أماكن خاطئة.

ثانياً: القرابين

أهمية القرابين للمتوفى :

كما ذكرنا في الفصل السابق اعتقد المصريون القدماء أن الموتى في حاجة إلى الطعام والشراب بدرجة لا تقل عن الأحياء ، وإلا أصابهم الجوع والظمأ ، وهاجموا قرى الأحياء ، وأكلوا طعامهم ، فإذا لم يجدوا ما يسد حاجتهم ؛ أصابوا القرى بالأمراض ، والويلات . وليتجنب الأحياء ذلك كان عليهم تقديم التقدمات لموتاهم في مقابرهم في أوقات منتظمة ، ولهذا كان تقديم التقدمات في صالح المتوفى والحي في آن واحد.

فبالنسبة للمتوفى أعتقد المصري القديم أن الطعام المقدم له توجد به قوة خفية تحول المتوفى إلى روح ؛ ولذلك فان التقدمات التي تقدم له أثناء طقس فتح الفم كانت كفيلة أن تمنحة خصائص الشخص الحي . كما ساد الاعتقاد بان "كا" المتوفى لا تضم إلى قبرة إلا إذا أمده الأحياء بالتقدمات المتنوعة ؛ ومن ثم فان بقاء الكا يرتبط بتقديم التقدمات لها.

ويمكن أن نتخيل أهمية تقديم التقدمات إلى "كا " المتوفى إذا عرفنا أن بقاءها على قيد الحياة بعد موت صاحبها كان عاملا" جوهريا" من اجل عودة الحياة للجسم ، فهي التي تستقبل تقدمات الطعام من خدم الكا ، وتنقل حيويتهم للجسم . و بهذه الفكرة فان الكا -كما يذكر سليم حسن- يمكن اعتبارها وسط مادي لفكرة روحية ، أو أن يطلق عليها الروح المادية.

فلكون الكا وسط تنتقل من خلاله التقدمات ؛ أصبحت القوة الحيوية التي تعطى الطاقة ، والقوة للأعضاء حتى أن كلمة كا توازى كلمة قوة كما أن كلمة kAw تعنى غذاء وطعام . وبمعنى آخر إن التقدمات هي مصدر القوة ، وهى السبب في بقاء الكا التي تقدم التقدمات للمتوفى عن طريقها ؛ ولذلك كان الكاهن الجنائزي الذي يقدم التقدمات للمتوفى يدعى لذلك السبب -Hm kA. كما كرست التقدمات لصالح المتوفى من خلال العبارة n KA "من اجل الكا".

وللأهمية السابقة للتقدمات المُقدمة للمتوفى فقد حرص المصري القديم أن يوفر مصادر متنوعة لهذه التقدمات حتى إذا نضبت إحداها تكفلت المصادر الأخرى باستمرار تقديم التقدمات له ، وبالتالي ضمان استمرار حياته في العالم الآخر.

ثالثاً: الكتُب الجنائزية

(1) نصوص الأهرام :

هي نصوص ملكية وليس خاصة بالأفراد، وصلتنا من عصر الدولة القديمة مدونة على الجدران الداخلية لأهرامات كل من ونيس من عصر الأسرة الخامسة ومن الأسرة السادسة في مقابر الملوك تيتي وبيبي الأول ومرنرع وبيبي الثاني والملكات إيبوت ونايت من الأسرة السادسة ، والملك إيبي من ملوك الأسرة الثامنة. أما أهرامات ملوك الدولة الوسطى فقد خلت من هذه النصوص ، والنصوص عبارة عن شعائر جنائزية وتعاويذ وأناشيد دينية تدور حول فكرة صعود روح الملك إلى السماء في ملكوت الأب إله الشمس رع ، وقد ظهرت هذه النصوص بدون رسومات ومكتوبة عمودياً ولونت باللون الأخضر تعبيراً عن الحياة والتجدد ، ويتراوح عدد فقراتها ما بين 714 ، 759 ، وعلى خلاف النصوص التي تطورت منها ظهرت متون الأهرام غير معنونة عدا الفقرة رقم 355 والخاصة بفتح السماء لروح الملك المتوفى.

والغرض العام من نصوص الأهرام هو ضمان سعادة الملك وحده في حياته في الدار الآخرة عن طريق القوى السحرية المكتوبة على جدران الهرم. ولهذا تولي هذه النصوص الاهتمام بتحقيق رغبة الملك المتوفى في الابتعاد عن الحياة المُظلمة في العالم السفلي ، التي هي مصير الموتى العاديين ، وأن يعيش الملك في السماء كما تعيش الآلهة.

لهذا نجد تأكيدات متعددة في غمار هذه المتون تؤكد على عودة الحياة للملك وعدم موته بل إنتقاله من عالم إلى آخر فنقرأ فيها "*أيها الملك إنك لم ترحل ميتاً لقد رحلت حياً ... لعل اسمك يدوم أبداً فوق الأرض لأنك لم تفنى ، ولن تدمر أبداً أبداً*". كما يُخاطب كذلك : "*انهض بنفسك أيها الملك ، لأنك لم تمت ... انهض فلن تفنى ، ولن تدمر ...*".

ومن أهم ما أهداف هذه النصوص هو توفير القرابين للملك المتوفى فنقرأ في الفصل 307 منها ما يلي : "*إن أون في أيها الإله ، إن أون التي لك في أيها الإله ، إن أون في يار رع ...*". والمعنى أن أون وهي مقر حقل القربان داخل الملك ، وهي مُبالغة من الملك فلم يذكر أنها ينعم في حقل القربان في أون ، بل نجده يذكر أن أون هي التي بداخله.

كما نقرأ في سياق التأكيد على المصير السماوي للملك : " (أصبحت) *السماء* (في) *قبضة الملك ... هللوا للملك لأنه استولى على الأفق*". كما نقرأ في أخرى "*الملك يحيط بالسماء كرع ...*". ونقرأ أيضاً على لسان الملك بأحد تعاويذ هذه النصوص: "*سوف أعبر إلى ذلك الجانب الذي فيه النجوم غير الفانية ، حتى أكون بينها ...*".

(2) نصوص التوابيت :

هي امتداد لنصوص الأهرام ، ولكنها تختلف عنها في أنها وجهت للعامة من الشعب المصري ولكل من لديه القدرة أن يشتري هذه التعاويذ ويحصل عليها من الكهنة.

فبسقوط الحكومة المركزية عند نهاية الأسرة السادسة أصبحت الطقوس الجنائزية ملكاً لعامة الشعب ، بعد أن كانت وقفاً على الملك والأمراء دون غيرهم. وأصبح كل شخص من عامة الشعب يتطلع إلى الحماية من أخطار العالم السفلي ، شأنه في ذلك شأن الملك. وقد كتبت هذه التعاويذ على التوابيت الخشبية بداية من عصر الانتقال الأول ثم انتشرت في عصر الدولة

الوسطى وتحتوي على 1185 فقرة كتبت بالخط الهيروغليفي أو بالهيراطيقية. وعلى الرغم من أنها تتألف من مقتبسات كثيرة أخذت من نصوص الأهرام ، بل يمكن القول إنها تنحدر منها بشكل مباشر، فقد صيغت نصوص التوابيت في صورة جديدة واستغنى كاتبوها عن بعض متون الأهرام القديمة ، وأضيفت إليها مادة جديدة.

وتعبر هذه التعاويذ عن رغبات المتوفى وآماله في العالم الآخر ، فهي تعبر مثلاً عن رغبته في ألا يعاني أو يجوع أو يعطش في ذلك العالم ، كما تعبر عن رغبته في الالتقاء بعائلته في العالم الآخر : فيقول في أحد التعويذ : "*رغبتي أنا (أن) أعيش مع عائلتي...*".

وقد حرصت متون التوابيت في كثير من تعويذها أن تضمن للمتوفى آخرة سعيدة ومن ذلك على سبيل المثال أنها حاولت أن تضمن للمتوفى مصدراً لا ينضب من التقدمات، فنقرأ في أحد تعاويذها ابتهال المتوفى لبعض آلهة العالم الآخر من أجل أن تقدم له بأيديها التقدمات فيقول:

"***فلتوهب لي التقدمات من أيدي العظماء***".

كما حاولت أن تضمن له حماية الآلهة له في مسيرته خلال العالم الآخر ، فقد ورد بأحد تعاويذها في سياق الإشارة إلى حماية المتوفى : "*يدا أمه* (ربما نوت ؟) (ممتدة) *تجاهه* ، (إنها) *عظيمة الحماية*".

ومما يؤكد أن المقصود من مد اليد هنا هو تقديم مدلول الحماية ، أن الجملة اختتمت وصفها لنوت ؟ بأنها عظيمة الحماية.

(3) كتاب الموتى أو كتاب الخروج في النهار:

هي الأخرى امتداد لنصوص الأهرام والتوابيت فمع حلول الدولة الحديثة نسخ بعض من هذه النصوص على لفائف البردي والجلود والأكفان وحوائط المقابر والمعابد. وزيدت بعدد من المدائح لتوضع على رأس المتوفى أو تحتها وهذا ما يُعرف بكتاب الموتى. ولقد جرت العادة منذ بداية الدولة الحديثة أن يوضع كتاب مكتوب على ورق البردي ، في قبر كل ثري يموت. فيوضع هذا الكتاب داخل صندوق ، ويودع الصندوق في التابوت أو يُلف بين طيات أربطة المومياء.

وقد عُثِرَ على مئات من هذه المخطوطات مكتوبة بالخط الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي. وهي عبارة عن مجموعة من الرقى مُكملة برسوم تدعم قوتها الفعالة ، وإن قراءة هذه الرقى ، أو حتى مجرد وجودها مكتوبة يمنح الشخص حياة سعيدة مظفرة إلى الأبد. وعنوان هذه النصوص " صيغ للخروج نهاراً". كان الكاهن يقرأ هذه الصيغ عند الاحتفال بجنازة الميت ، وتشمل تمنيات مثل: "*لتبعث من جديد وتؤله*" ، ثم حرية الحركة للشخص الميت ، وتتضمن ما يفيد في العالم السفلي.

أنتهت المحاضرة،،،

خالص التمنيات بالتوفيق
د.صابر محمد صادق
مارس 2020.